# الأسرار الباطنة لقراءة القرآن الكريم[1]

اعلم أن لقراءة القرآن الكريم أسراراً باطنة وهي كما يلي:

1 - أن تستشعر في أول قراءتك عظمة الكلام:

باستشعار تعظيم المتكلم، فتحضر في قلبك العرش والكرسي والسموات والأرض وما بينهما، وتتذكر أن الخالق لجميعها واحد، وأن الكل في قبضة قدرته، متردد بين فضله ورحمته، وأنك تريد أن تقرأ كلامه، وتنظر به إلى صفة ذاته، وتطالع جمال علمه وحكمته، وتعلم أنه كما لا يمس ظاهر المصحف إلا المطهرون بظواهرهم، وهو محجوب عن غيرهم، فكذلك حقيقة معناه وباطنه محجوب عن باطن القلب، إلا إذا كان مطهراً من كل رجس وخبث من خبائث الباطن، ويمثل هذا التعظيم عكرمة رضي الله عنه كان إذا نثر المصحف ربما غشي عليه ويقول: هذا كلام ربي، هذا كلام ربي.

(1) كتاب الأربعين في أصول الدين للغزالي، بتصرف.

واعلم أنه لولا أن أنوار كلامه العزيز وعظمته قد غشيت بكسوة الحروف، لما أطاقت البشرية سماعه لعظمته وسلطانه وسبحات نوره، ولولا تثبيت الله ﷻ موسى عليه السلام لما أطاق سماعه مجرداً عن كسوة الحروف والأصوات، كما لم يطق الجبل مبادئ تجليه حتى صار دكاً دكاً.

**2 - أن تقرأ بتدبر معانيه:**

إن كنت من أهله، وكل ما يجري لسانك به في غفلة فأعده ولا تعده من عملك، لأن الترتيل في الظاهر للتمكن من التدبر. قال علي رضي الله عنه: «**لا خير في عبادة لا فقه فيها، ولا في قراءة لا تدبر فيها**». وإياك أن تصير مشغوفاً بعدد الختمات على نفسك، فلأن تردد آية واحدة في ليلة تتدبرها خير لك من ختمين، فقد قرأ رسول الله ﷺ: «**بسم الله الرحمن الرحيم**» فرددها عشرين مرة. وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: قام رسول الله ﷺ بنا ليلة، فقام بآية يرددها ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾. وقام تميم الداري ليلة بقوله سبحانه وتعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾.. الآية. وقام سعيد بن جبير ليلة بقوله: ﴿وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾.

ولعل الأليق بك ما قاله بعض العارفين إذ قال: لي

في كل جمعة ختمة، ولي في كل شهر ختمة، وفي كل سنة ختمة، ولي ختمة منذ ثلاثين سنة ما فرغت منها بعد. وذلك بحسب درجات التدبر، فإن القلب في بعض الأوقات لا يحتمل التدبر الطويل. (فليكن للتدبر الطويل ختمة خاصة).

**3 - أن تتخلى عن موانع الفهم:**

وهي الأكنة التي تمنع الفهم. قال الله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا﴾[1] [2].

وقال رسول الله ﷺ: «**لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت[3] السماء**»[4].

واعلم أن معاني القرآن من جملة الملكوت، وإنما حروفها من عالم الشهادة. والأكنة التي يبتلى بها المتقي المتعطش إلى الحق نوعان:

**الأول**: ما ابتلي به ضعيف الإيمان من حجاب الشك والجحود.

(1) الأكنة: الأغطية لئلا يفقهوا القرآن، والوقر: الصمم.
(2) سورة الكهف، الآية: 57.
(3) الملكوت في اصطلاح الصوفية عالم الغيب.
(4) رواه الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه.

الثاني: ما ابتلي به ضعيف الإيمان من حجاب الشهوات المستغرقة للقلب، فذلك جلي لا يخفى كونه مانعاً من لطائف القرآن واقتباس أنواره، فبها حجب أكثر الخلق.

4 - أن لا تقتصر على اقتباس الأنوار:

بل تضيف إليها اقتباس الأحوال والآثار، وذلك أن لا تقرأ آية إلا وأن تصير بصفتها، فتكون لك بحسب كل منهم حالاً ووجداً، فعند ذكر الرحمة والمغفرة تستبشر كأنك تطير من الفرح، وعند ذكر الغضب وشدة العقاب تتضاءل كأنك تموت من الفزع، وعند ذكر الله وأسمائه وعظمته تتطأطأ وتتصاغر حتى كأنك تمحق من مشاهدة الجلال، وعند ذكر الكفار ما يستحيل عليه من ولد وصاحبة تنكسر وتغض صوتك كأنك تنطمس من الحياء. وهكذا.. وليظهر أثر ذلك على جوارحك من بكاء عند الحزن، وعرق جبين عند الحياء، واقشعرار الجلد وارتعاد الفرائص عند الهيبة والجلال وانبساط في الأعضاء واللسان والصوت عند الاستبشار، وانقباض فيها عند الاستشعار، فإذا فعلت ذلك اشترك في نيل حظ القرآن جميع أعضائك.